مؤتمر الإمام الشهيد
محمد سعيد رمضان البوطي
قراءة في فكره ومواقفه

موقف الإمام الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي من "الإسلام السياسي"، ورؤيته في التعامل مع الحكام

الدكتور الشيخ محمد شريف عدنان الصواف
المشرف العام على مجمع الشيخ أحمد كفتارو، رئيس فرع معهد الشام العالي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد، فإنه يشرفني أن أقدم هذه الورقات بين يدي ذكرى استشهاد العلامة الإمام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، هذا الرجل الذي كان مالئ الدنيا وشاغل الناس في حياته، وبعد استشهاده، وذلك من خلال الإرث العلمي والفكري الكبير الذي قدمه للأمة، والذي ما زال ميداناً خصباً للبحث والدراسة.

ومن خلال خاتمة الحسنى التي ختم الله له بها، والتي وإن كانت صادمة لأحبابه في أول أمرها، مفرحة لأعدائه إلا أنها كانت على الحقيقة خيرَ ما يلقى به العبد ربه ومولاه.

فقد جمع الله له فيها بين حسنات كثيرة؛ حيث لقي الله وهو في بيته بين المنبر والمحراب.

في مجلس علم.

والقرآن بين يديه يعب من معين أنواره.

في ليلة الجمعة.

وقد قُتِل مظلوماً لقاء مواقف الحق التي وقفها، وكلمات الحق التي صدح بها.

اللهم اجزه عن الأمة خيراً، وتقبله عندك مع النبيين والصديقين، اللهم ونسألك خاتمة الحسنى كما رزقتها لشيخنا الدكتور البوطي.

من البدهي القول أن الشيخ رحمه الله كان عالماً موسوعياً، جمع بين أنواعٍ شتى من علوم الأصول، والفقه، والعقيدة، والتاريخ، والفلسفة، وأحاط ذلك كله بعقل وفكر نيرٍ، ثم أخرج لنا بضاعته العلمية بثوب أدبي قشيب، مع ما أحاطها به من عرض منطقي، وأسلوب مقنع.

وقلما تجد عالماً جمع بين ما جمعه الشهيد الإمام من حضور الحال الذي يستشعره كل من يجالسه.

وغزارة العلم التي تظهر في نتائجه العلمي المقروء والمسموع.

وطلاقة لسانه، وحلاوة أدائه، وجمال عبارته.

ثم أسلوبه الأدبي الفكري الذي كان الوعاء الذي ضمَّ ما قدمه للأمة.

ولعمري إن من كلامه ما يصلح أن يكون أنموذجاً يدرس في كليات الآداب لما فيه من إبداع فني، يجمع إليه القيمة العلمية.

والشيخ رحمه الله في ذلك كله يرفض أن يسمى مفكراً في الوقت الذي يطرب غيره لذلك، ويهش يبش، ويعد من أحلامه في هذه الدنيا أن يقترن اسمه بهذا اللقب الثمين!

وهو يرى أن أغلب الذين كتبوا فيما يسمى بالفكر الإسلامي هم من المتلاعبين بالإسلام والمتربصين به.

ويقول معرفاً -بحسب رؤيته- لما يسمى الفكر الإسلامي أنه يجمع:

(سائر المحاولات الثقافية والدرسية للتعرف على جانبٍ ما من جوهر الإسلام وحقيقته، كما يشمل سائر التصورات الذاتية التي يعود بها الدارس أو الباحث؛ دقيقة كانت أم سطحية؛ بل صحيحة كانت أم باطلة.

والحصيلة التي تتجمع من هذه البحوث والدراسات متمثلة في كتابات أو محاضرات أو مساجلات تسمى على اختلافها الفكر الإسلامي)[1].

إذاً هو يرفض الفكر الإسلامي لأنه يرى فيه رؤى ذاتية للمؤلفين أكثر من أن يرى فيه تمسكاً بالأصول، وعودة واحتكاماً إليها.

ولذلك وجَّه إليه خصومه غالباً تهمة **"التقليدية"**، وهذا هو ما ينبغي أن يوجَّه فهمنا لرؤيته السياسية سواء كان ذلك فيما يتعلق بموقفه من الأحزاب السياسية، أو لرؤيته حول العلاقة مع أولي الأمر.

---

(١) الجهاد في الإسلام كيف نفهمه، وكيف نمارسه، ص ١١.

ولئن كان الآخرون يرون ذلك تهمة ومنقصة، فإننا نرى ذلك مما يميز منهجه، ويزينه، ويعصمه، ويجعله يصل إلى أهدافه الحقيقية، وهي رضى الله تعالى، وليس إلى أهداف موهومة هي في غالبها تصب ضمن عنوان رضى الناس.

ويمكننا أن نرى ذلك من خلال الرؤية التفصيلية للمسألتين اللتين سنتحدث عنهما:

المحور الأول – رؤيته في إصلاح المجتمع وما يسمى (الأحزاب الإسلامية):

لعل كتب ومقالات الدكتور البوطي في أغلبها تريد أن تصل إلى نتيجة حتمية هي **إصلاح المجتمع**، وهو لا يرى سبيلاً موصلاً إلى ذلك سوى الدعوة إلى الله تعالى على منهاج النبوة، من خلال بيان الحق، ونشر الهدي النبوي بين الناس؛ بياناً، وبلاغاً واضحاً، يوقظ الغافلين، ويرد الشاردين، عنوانه الرحمة والرأفة والصبر الذي يجب أن يتحلى به الداعي إلى الله تعالى.

ثم إن هذا الداعي ليس عليه أن يصل إلى النتائج التي يرجوها وأن يحصد هو ثمار ذلك، بل عليه أن يؤدي مهمته وأن لا ينشغل عنها فحسب.

امتثالاً لأمر الله تعالى في كتابه في قوله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥].

وقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[سورة آل عمران: ١٠٤].

وامتثالاً لقول النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**».

ولنه يرى أن هذا الفهم البدهي غائب عن أذهان وسلوك أولئك "الإسلاميين" الذين اتخذوا المنهج السياسي وسيلة لإصلاح المجتمع وتطبيق شريعة الله في الأرض؛ وهو يعرض رأيهم ويناقش فكرهم في مواضع متعددة من كتاباته؛ منها قوله:

(غير أن لسان حال الإسلاميين والجماعات الإسلامية يردُّ قائلاً: نحن في شغل شاغل عن هذا الذي تدعوننا إليه، وتستنجدون بنا من أجله.

إننا مشغولون عنكم باتخاذ أسباب الوصول إلى الحكم ولسوف ننعطف إليكم من فوق كراسي الحكم، لنقودكم إلى الحق عندئذٍ كرهاً، بدلاً من أن نحاوركم، وندعوكم إليه عن طواعية ورضا !

أجل .. هذا ما يقوله اليوم لسان حال هؤلاء الإسلاميين، بل هذا ما يقوله كثير منهم بألسنتهم عندما يأتي من يذكرهم بتنكبهم عن الطريق، وهذا ما قاله لي كثير منهم في كثير من المناسبات.

ولكن، ألا ترى، يا قارئي الكريم، أن هذا الاعتذار الذي يأتي بلسان الحال أو بلسان المقال، إنما هو في الحقيقة تطاول إلى تصحيح النهج الذي قد قضى وأمر به الله؟

إن المضمون الذي يختفي وراء هذا الاعتذار، ليس إلا قراراً تصحيحياً لما أمر الله به عباده ولما تعهد لهم به، ثم للسلوك التطبيقي الذي لبى من خلاله الصحابة أمر الله، وللعهد الذي أنجزه الله لهم لقاء ذلك، وإن هذا القرار التصحيحي لينطق قائلاً:

خيرٌ من سلوك هذا الطريق الطويل إلى نشر دين الله في الأرض، وبسط سلطانه على النفوس والبلاد، عن طريق دعوة الناس ومحاورتهم فرداً فرداً، أن نقفز إلى كراسي الحكم فنتبوأها، فنفرض سلطان الإسلام على الناس من هناك شرعة ومنهاجاً. والحكم الذي سيحققه الله لنا، باتباع هذا المنهج الطويل، من حيث لا نحتسب، بوسعنا أن نناله الآن، بسلوك الأسباب والوسائل التي يسلكها غيرنا، من حيث ندري ونحتسب!) [1].

ثم يفصل الإمام الشهيد الحديث عن آفة هذا المشروع – مشروع الإسلام السياسي – وما جره على الأمة من ويلات، وعن سبب معاداته لهذا النهج، ويبين آفاته النظرية، وينقده من خلال الواقع المجرب لمثل هذه الحركات والأحزاب، من تمزيق للأمة، وتشويه للمقاصد الشريعة.

---

(١) وهذه مشكلاتنا، ص٤٧.

وأفضِّل أن نورد كلامه كما هو في هذه المسألة لأنه مختصر موجز مع نفاسة ما فيه، وأسلوبه البديع.

يبدأ الشيخ رحمه الله بنقض الفكرة من أصلها حين يؤصِّل لسبب الاختلاف بين المنهجين؛ السياسي والديني، في إصلاح الإنسان والمجتمع، وفرض الأفكار وتطبيقها، فيقول رحمه الله:

(أجل، هذه هي مأساة العمل الإسلامي، في أبرز ما يتجلى على الساحة الإسلامية، ولكن ما هو مصدر الأخطاء التي أورثت هذه المأساة، والتي يقطف اليوم منها، الأعداء العالميون لهذا الدين، أشهى النتائج والثمار؟

إن مصدر الأخطاء كلها، يتمثل في العدوى التي سرت إلى الجماعات الإسلامية، من واقع المذاهب والأنظمة الوضعية، والاتجاهات السياسية والثورية التي يسلكها قادة هذه المذاهب ودعاتها، لفرض مذاهبهم وأنظمتهم على المجتمع.

ومن المعلوم أن هنالك قاسماً مشتركاً بين الإسلام والمذاهب الوضعية. ولكنَّ بينهما فارقاً أساسياً كبيراً في الوقت ذاته.

أما **القاسم المشترك**، فيتمثل في أن كلاً منهما يقدم مشروع نظام، يفترض أنه الأفضل والأكثر استجابة لحاجات الإنسان ومصالحه.

وأما **الفارق الأساسي الكبير**، فيتمثل في أن النظام الإسلامي يأتي ثمرة دينونة الإنسان لله، وإيمانه الطوعي بوجوده ووحدانيته، وثقته التامة بحكمته وعدله ورحمته، ومن ثم فهو لا يطمئن إلى حكم غير حكمه ولا يثق بنظام يصلح لمعاشه ومعاده غير نظامه.

أما الأنظمة والمذاهب الوضعية فهي ثمرة رؤى وأفكار بشرية، تبناها أصحابها بدافع مزيج من الاجتهادات التي اقتنعوا بها، والأغراض التي استهوتهم، والعصبيات التي أسرتهم؛ ومن هنا لم يكن لها من سبيل إلى الأفئدة والعقول، تقديساً لها وإيماناً بها؛ إذ الناس مهما اختلفوا في الأعراق وتمايزوا في الثقافات والمدارك، تجمعهم مشاعر النديَّة المتكافئة، وتفرقهم عن بعضهم مصالحهم المختلفة وأهواؤهم وأمزجتهم المتعارضة.

فهيهات أن تسري آراء ثلة من الناس إلى عقول الآخرين من أمثالهم، من خلال قناة التقديس والإذعان بأنها خير آراء أخرجت للناس.

ولما كان أصحاب كل مذهب حريصين على أن يكون مذهبهم هو السائد بين الناس، وهو المعمول به في المجتمعات، كان لا بدَّ لهم من سلوك السبيل الوحيد الذي لا ثاني له ولا غنى عنه، ألا وهو سبيل الفرض والإلزام، وللناس بعد ذلك أن يعتقدوا أو لا يعتقدوا بجدوى نظامهم وفائدته .. وليس من سبيل إلى الفرض والإلزام إلا الوصول إلى الحكم ثم استعمال السلطة التنفيذية من هناك.

ويتلخص هذا الفرق في أن بلوغ الحكم في سلَّم العمل الإسلامي، نتيجة وثمرة للقناعات الإسلامية الحقيقية إذ تنتشر في عقول الناس وأفئدتهم. على حين أن بلوغ الحكم في سلَّم الأنشطة التي يمارسها قادة المذاهب والنظم الوضعية، هو المفتاح الذي لا بدَّ منه لبسط أنظمتهم ومذاهبهم التي يدعون إليها) [1].

وهكذا يقرر الشيخ أن أصل الفكرة مخلفة بين المنهجين، وإن ظهرت أنها متفقة، ولذلك نجح الإسلام في ترسيخ قيمه ومبادئه في أذهان الناس، وفي سلوك المجتمعات، بينما لم تنجح بقية المذاهب الوضعية في ذلك.

ويعود الشيخ إلى تحليل واقع عمل القائمين على الأحزاب الإسلامية، ويحلل مكمن الخطأ في سلوكهم؛ فيقول:

(أجل، فقد نظر قادة هذه الجماعات إلى قادة الأحزاب والمذاهب الوضعية، ورأوا كيف يتجهون إلى كراسي الحكم عن طريق الدخول في المعتركات السياسية، أو اقتحام الطرق الثورية، وما هي إلا بضع محاولات على هذه الساحة أو تلك، وإذا هم متربعون فوق عروش الحكم، وإذا بأنظمتهم وأفكارهم تنبسط في المجتمع دون أي مشاغب أو معارض!

(١) وهذه مشكلاتنا، ص٤٩ - ٥٠.

وما هو إلا أن استهوتهم -أي استهوت الإسلاميين- هذه السرعة الخاطفة في نجاح تلك المنظمات أو الأحزاب في فرض سلطانهم، ومن ثم فرض أفكارهم وأنظمتهم على الناس.

وأخذت العدوى تفعل فعلها في أفكارهم، بل في نفوسهم: لماذا لا نسلك مسالك هؤلاء الناس؟

إنهم يحملون إلى الناس أفكاراً وأنظمة بشرية تافهة، ونحن نحمل إليهم الإسلام، ألسنا أولى منهم بالتوجه إلى كراسي الحكم والتحكم بمقاليده، سواء أتيح لنا ذلك بالاشتراك في المعتركات السياسية أو باقتحام الطرق الثورية؟!.. ولئن كان قدر الناس في هذا العصر أن تفرض المذاهب عليهم بالقوة، فلنكن السباقين إلى ذلك، وليكن المذهب المفروض عليهم هو الإسلام!!

وفي غمار هذه المحاكمة أو المراوضة الفكرية التي فرضتها العدوى، نسي قادة العمل الإسلامي أن الإسلام الذي يدعون إليه وينهضون بخدمته إنما هو دين واعتقاد قبل كل شيء. والدين إنما يسري إلى العقول عن طريق القناعة واليقين، وإنما سبيله الدعوة والحوار والإقناع. أما ما فيه من شرعة ونظام، فنتائج طبيعية لدينونة العقل والقلب لألوهية الله وسلطانه. ولو أن إحدى دول البغي والكفر في الأرض أعجبت من الإسلام بشرعته ونظامه فاتخذت من شرائعه وأحكامه بديلاً عن نظامها الذي كان سائداً، لما أدخلها ذلك في حظيرة الإسلام من حيث إنه دين يستجيب به الإنسان لأمر الله ويمارس من خلاله العبودية لله، وليس بين شريعة الإسلام والنظام الذي كان سائداً من قبله، في هذه الحال، أي فرق.

ولكن قادة الجماعات الإسلامية نسوا، في غمار هذه المراوضة الفكرية تحت سلطان تلك العدوى، هذه الحقيقة التي هي من البداهة بمكان. واستهوتهم مغامرات رؤساء المنظمات والأحزاب، فأعرضوا عن مهام الدعوة إلى عقائد الإسلام عن طريق التربية

والحوار، ثم تفرغوا هم الآخرون للدخول في المعتركات السياسية، أو اتجهوا إلى رسم الخطط الانقلابية والثورية)[1].

هذه هي المنطلقات الفكرية، والنفسية التي يرى الشيخ أنها خدعت تلك الجماعات، وجرفتها من ميدان العمل الدعوي الذي كان ينشط ليبث الخير، والإصلاح في المجتمع، فتفتح له القلوب والعقول إلى ميدان العمل السياسي الحزبي، المليء بالمنازعات، والأنانيات، وفي ذلك يقول رحمه الله:

(وهكذا تحول هؤلاء الذي عرَّفوا الناس على أنفسهم، دعاةً إلى الله وخداماً لدين الله، إلى طلاب حكم ينتجعونه في ساحة العمل السياسي، أو يطرقون أبوابه من خلال المغامرات الثورية).

ثم يفصِّل الشيخ في ذكر الآفات الناتجة عن هذا التحول من خلال النقاط التالية:

أولاً– إن التحول من العمل الدعوي إلى العمل السياسي يفقد الداعية إلى الله تعالى، سكينة النفس، وصفاءها، ويورثه قسوة القلب، مما يضيع كثيراً من سمات شخصيته التي ينبغي أن تلازمه؛ وفي ذلك يقول:

(إنني عندما أقرر الدخول في المعترك السياسي ابتغاء الوصول إلى الحكم، لا بدَّ من أن يكون وجودي الغالب في المناخ الملائم لهذا المعترك، ولا بدَّ أن يتجه جلَّ نشاطي الفكري والسلوكي إلى رسم الخطط والأساليب المتكفلة بالوصول إلى هذا الهدف.

والشأن في ذلك أن يبدِّد صفائي الروحي، وأن يورثني مع الأيام قسوة في القلب واضطراباً في النفس، وأن يمدَّ غاشية من الضباب على مشاعر عبوديتي لله ومشاعر ثقتي به وتعظيمي له ومراقبتي إياه .. ولا بدَّ أن يؤثر هذا الحال في تبديد معظم ما أتمتع به من عدَّة على طريق الدعوة إلى الله وخدمة دينه. يعلم هذا كل من كان معافى، ثم زجَّ نفسه في هذا المناخ وابتلي بهذه الحال) [2].

---

(١) وهذه مشكلاتنا، ص ٥٠ – ٥١.

(٢) وهذه مشكلاتنا، ص ٥١ – ٥٢.

ثانياً- إن العمل السياسي يفرض على الداعية أن يضع نفسه ضمن أحد المحاور السياسية، وهذا يفرض عليه تحالفات لا تتوافق مع نقاء رسالته، وجوهرها، أو أنه سيتجنب كل تلك التيارات مما يضعفه، ويجعل وصوله إلى أهدافه مستحيلاً:

(إن دخولي في هذا المعترك، يضعني وجهاً لوجه أمام محاور سياسية متعددة، ويفرض عليَّ الانجذاب إلى فلك واحد منها، ومن ثم التحرك لحسابها .. إن من المستحيل أن أزجَّ نفسي في ساحة العمل السياسي، كقائد لجماعة تتبع سيري وتنقاد لإشارتي، دون أن أتحالف مع هذا الفريق أو ذاك، ذلك لأن النشاط السياسي الذي يطرق أبواب الحكم، لا يمكن أن يتحرك في فراغ .. إذ هو محاط بتيارات متخالفة، بل متصارعة شتى. ولن يكون لاستقلال صاحب هذا النشاط عنها إلا معنى واحد هو اتخاذ موقف المعاداة لها، ومن ثم فلسوف تلتقي هذه التيارات كلها، على اختلافها، على التربص به والكيد له. والنتيجة التي لا مناص منها، هي أن تضيع وتستهلك قواه وسط تألب تلك التيارات وفي ضرام عدوانها.

ذلك هو شأن الدخول في المعتركات السياسية، لا بدَّ فيه من أحد مصيرين: إما الانحياز والتحالف مع أحد محاورها، وإما الاستقلال عنها جميعاً وهو ما يعني تألب الأطراف والمحاور كلها على صاحب هذا الاستقلال بالعدوان والقهر) [1].

ثالثاً: انشغال الدعاة بالعمل السياسي سيفقدهم التفرغ لدورهم الحقيقي، وهو التخصص الدقيق في العلوم الشرعية، وتعليم الناس أمور الفقه والدين:

(في غمار هذا التوجه، وتحت تأثير هذه التيارات المتصارعة، وما يكتنفها من ضجيج وتوقعات ومفاجآت، لا بدَّ من أن أتجرد عن عملي مبلغاً عن الله ومعرفاً بدينه داعياً إلى صراطه، وأن أتحول إلى مخاصم في شؤون السياسة مجاهد في سبيل بلوغ الحكم، مفكرٍ في الوسائل التي يجب أن أتخذها للتغلب على الخصوم.

---

(١) وهذه مشكلاتنا، ص ٥٢.

ولا تنسَ أنني أضرب المثل في كل ذلك بنفسي، مفترضاً أنني أمير جماعة إسلامية أو واحد من أفرادها، فلا جرم أن هذه هي الحال التي سيكون عليها أتباعي أو سائر زملائي وإخواني.

إذن، فقد تقاعدت الطائفة التي تسامت ذات يوم إلى مستوى الوصية الربانية القائلة: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ... ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٢٢]، عن شرف التفقه في الدين والتوجه به إلى عامة الناس معلمين ومبشرين ومنذرين. واستعاضت عن ذلك بهذا الذي افتحمت نفسها فيه.

هذا، والناس الذين من حولي، كلهم أو جلهم، جاهلون بالدين ينتظرون من يبصرونهم به ويحببونه إليهم، تائهون، متنكبون عن صراط الله عز وجل، ينتظرون من يأخذون بأيديهم، قد أحاطت بهم شياطين من الإنس والجن، باسم التبشير أو التنوير أو التثقيف، يشوهون لهم حقائق الإسلام، ويعكرونمن صفوه، ويبعثون في نفوسهم –بكل ما يملكون– دواعي الاشمئزاز منه.

الدعوة التخريبية قائمة على كل قدم وساق، والإسلاميون الدعاة إلى الله في شغل شاغل عن مقاومة التخريب بالبناء، وعن النهوض بما أقاموا أنفسهم فيه من مهام الدعوة إلى الله وتبليغ كلمات الله وأحكامه.

فكيف يكون عمل هؤلاء الناس –وهذه هي الحال– جهاداً في سبيل الله؟

بل كيف لا نكون مؤاخذين عند الله يوم القيامة على هذا التشاغل والإعراض؟

وكيف لا نتحمل أوزار هؤلاء الشاردين والتائهين الذين شغلنا عن نصحهم وإرشادهم ودعوتهم إلى الله، انصرافنا إلى ساحة المعتركات السياسية وتطلعنا إلى بلوغ كراسي القيادة والحكم ومناصبة الحكام في سبيل ذلك فنون العداء؟) [1].

(١) وهذه مشكلاتنا، ص ٥٢ – ٥٣.

ثم يضيف رحمه الله إلى ما ذكره سابقاً من أسباب رفضه لهذا النهج "العمل السياسي" في الوصول إلى المجتمع الإسلامي المنشود؛ وهو أن أرشد القادة لا يمكن أن يقودوا إلى الرشد مجتمعاً لم يشبع بأصول المبادئ السليمة للتربية والسلوك، ويمثل على ذلك لقائد تقي رشيد يقود مجتمعاً من اللصوص، ثم يذكر أمثلة لبعض الإسلاميين الذين وصلوا إلى المناصب فتقاعصوا عن تحقيق المرجوة، وإليك كلامه في ذلك:

(أما بيان النصف الثاني فنوجزه فيما يلي:

إن سدى ولحمة المجتمع الإسلامي المنشود، إنما يتمثلان في أفراده. وما حكامه إلا فئة من هؤلاء الأفراد. ومن ثم فإن وجود المجتمع الإسلامي لا يعني أكثر من صلاح أفراده واستقامتهم على صراط الله عن بصيرة ووعي.

فإن لم يصلح هؤلاء الأفراد، بل ظلوا -كما هي الحال الآن- بين شارد ومرتاب وضال وفاسق وملحد، إلا من رحم ربك، فهيهات أن يتحقق أو تألف المجتمع الإسلامي، من إطار يجمعهم، أو من مجرد اجتماعهم تحت مظلة حكومة مسلمة تنادي بالإسلام وتقتنع بتطبيق شرائعه وأحكامه.

أرأيت إلى فئات شتى من اللصوص، إن تحولهم إلى جيش نظامي من اللصوص تحت قيادة راشدة، لا يمكن أن يجعل منهم ملائكة مطهرين أو بشراً منزهين. بل إن حقيقة السوء التي كانت متناثرة في أفرادهم، تتحول تحت سلطان هذا التجمع والتلاقي إلى تيار متلاطم من السوء!..

أوَليس هذا الذي أقوله من الوضوح بمكان؟ بل أفيوجد في الناس من يرتاب فيه دون مكابرة أو عناد؟ ..

وهل الحكم وسلطانه إلا حزام ضبط وتجميع؟ ومتى كان الضبط والتجميع يغنيان عن تزكية النفس وتطهيرها من الزغل والآفات؟

وإن في ذاكرتي لصوراً كثيرة لرجال إسلاميين قفزوا إلى كراسي الحكم وأمسكوا بنواصيه، متجاوزين واجب التربية والدعوة والإقناع بالحجج العلمية والثقافية، فلم يتأتَّ

منهم أن يصلحوا أي فساد أو يقوِّموا أي اعوجاج. ولم يفيدوا الإسلام بتربعهم على كراسي المسؤولية والحكم إلا ما أوهمته أجهزة الإعلام المعادية وأدخلته في قناعة كثير من الناس، من أن الإسلام برهن على عجزه عن القيام بأي إصلاح!.. فها هم رجاله يحكمون، وها هو الفساد الذي كانوا يتأففون منه باقٍ كما هو!..

إنه لأيسر في سبيل الإصلاح وتقويم الاعوجاج وبسط فاعلية الإسلام، أن تطمع بعقل الحاكم وفؤاده، فتقول له -كما تقول لغيره- بمنطق القرآن: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾، من أن تطمع بكرسيه فتقول له بمنطق النفس المتوثبة إلى المغانم: هل لك إلى أن تتحول عن هذا الكرسي لآخذ محلك فيه.

ما الذي يضرُّ الإسلام ويسوؤه أن لا تكون أنت الحاكم في الأمة، إذا كانت التزكية النفسية والهداية العقلية قد حلَّ كلٌّ منهما محله من كيان الحاكم وأفئدة الناس؟ وما الذي يفيد الإسلام وينفعه إذا كنت أنت الحاكم، وكان الفساد مستشرياً في النفوس والضلالة مهيمنة على العقول؟

وإذا كان الجواب واضحاً، فما لك لا تتجه إلى الناس كلهم -شعوباً وقادة- بالنصيحة والإرشاد والسعي إلى تزكية النفوس وتصعيدها إلى مستوى الحب لله والانتعاش بدين الله. علماً بأنك تنفذ بهذا أمر إلهك الذي أنهضك إلى هذه الوظيفة وشرَّفك بها، وتنال بذلك أجراً لا ينال مثله إلا كبار الربانيين، وسيضع الله في كلامك سرَّ الهداية والقبول، فيتحقق لدى الحاكم الإسلامي العملي الذي تريد، وينصاع الناس إلى الحكم الإسلامي الذي تنشده وتنادي به؟!..

إن كان المبتغى هو قيام المجتمع الإسلامي فعلاً، فهذا هو وحده السبيل، وهي الضمانة التي لا بديل عنها.

أما إن كان المبتغى منافسة الآخرين على الحكم، ومخاصمتهم في سبيله، فما لهؤلاء الناس، لا يعلنون إذن عن قصدهم هذا؟ وإنه لقصد طبيعي لن يجرّمهم من أجله أحد. كل

ما في الأمر أننا نستذكر في هذا قول رسول الله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

ويذكر أمثلة عن الفتن الكبرى التي اجتاحت بعض الدول العربية جراء العمل السياسي الإسلامي، وكيف أن تمسك الإسلاميين هناك بالمكاسب الموهومة المزعومة جعلهم سبباً لخراب البلاد، بينما كان المرجو منهم أن يكونوا سبباً لصلاحه بالترفع عن المكاسب الدنيوية.

(قال لي أحدهم، -وكان الحديث عن الجزائر، وكنت أذكِّر بالنهج الإسلامي الصحيح في السعي إلى خدمة الإسلام، وأحذِّر من الاستمرار في هذا الخطأ القتال، والمتمثل في الإعراض عن الإسلام شغلاً بمخاصمة الحكام ومنافستهم على كراسي الحكم- قال لي:

إنك تتحدث دائماً عن خطأ هؤلاء الإسلاميين، ولا تتحدث عن الجريمة التي ارتكبها الحكام الجزائريون، إذ اغتصبوا منهم حقهم الذي وصلوا إليه بالطرق القانونية والديمقراطية المعتمدة!..

قلت له: لو علمتُ أن الذين اغتُصب منهم هذا الحق، هم طلاب حكم ومحترفو عمل سياسي، إذن لاختلف الموضوع، وإذن لكان بوسعي أن أعلن عن استعدادي لدفاع قانوني عنهم، كما يدافع أي محامٍ عن طرف وقعت عليه الظلامة في تجارة بمال، أو في مغنم سياسي، أو في حق مكتسب بممارسة حكم. بقطع النظر عن أثر ذلك على الإسلام سلباً أو إيجاباً. وعليهم في هذه الحال أن لا يجعلوا من الإسلام متَّكأً لدعم حقهم أو سلاحاً للطعن في خصومهم. وليَسَعْهم أن يتحركوا كغيرهم في الدفاع عن حقهم الذي لا ينكر، داخل ساحة الأنظمة الديمقراطية والحقوق الدولية. ولسوف يجدون من ذلك خير لسان مدافع عنهم وأفضل قوة تناضل عن حقوقهم. ولكن بوصف كونهم ساسة ابتغوا لأنفسهم

(١) وهذه مشكلاتنا، ص ٥٤ - ٥٥.

سبيلاً إلى القيادة والحكم، شأنهم في ذلك شأن عامة السياسيين المحترفين من ذوي الهواية في المناصب السياسية لا أكثر.

ثم قلت: إلا أن هؤلاء الإخوة إنما يؤكدون للعالم كله أنهم قد جندوا أنفسهم وسائر إمكاناتهم لخدمة الإسلام وإقامة حكمه، ويجزمون بأن سعيهم إلى الحكم إنما يأتي على طريق خدمتهم للإسلام ورفع شأنه وإقامة دولته.

إذن لا بدَّ أن يختلف، هنا، حديثنا لهم .. لا بد أن نقول لهم، انطلاقاً من هذه الهوية التي يعرفون العالم على أنفسهم من خلالها: إن عليكم في هذه الحال أن تضحوا بحقكم الذي كان ينبغي أن تنالوه من الوصول إلى القيادة والحكم، في سبيل الإسلام الذي تقولون أنكم حماته وجنوده، لا أن تضحوا بالإسلام وتجعلوا منه وقوداً في ضرام هذه الفتنة، في سبيل أن تنالوا حقوقكم التي اغتصبت فعلاً منكم!) [1].

ولكنه يؤكد أن أولئك الذين حبسوا أنفسهم في هذا القفص الفكري، ولم يجدوا سبيلاً لدعوة الناس، وإصلاح المجتمع إلا العمل السياسي باسم الإسلام، لن يستجيبوا لتلك النداءات المخلصة منه ومن غيره من الدعاة العاملين الذين أقاموا أنفسهم فيما أقامهم به الله تعالى من همِّ ردِّ الشاردين إليه، وجمع القلوب عليه.

(ولكن، فما هي الحجة التي يعود بها هؤلاء الإخوة الذين يأبون إلا الإعراض عن مبدأ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ .. ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥] والإقبال بدلاً عنه إلى شعار: أمسك بناصية الحكم ولا تبالِ من أي طريق وصلت؟

حجتهم هي القول بأن أقصر طريق إلى تطبيق مبادئ الإسلام وأحكامه، هو فرضها على الناس بالقوة. والطريق الوحيد إلى فرضها بالقوة هو بلوغ الحكم.

وأقول في الجواب: أرأيت إلى ما قد ذكرناه آنفاً من العدوى التي سرت إلى كثير من الحركات والجماعات الإسلامية، من واقع حال الأحزاب والمذاهب الفكرية والسياسية

---

[1] وهذه مشكلاتنا: ص ٥٥ – ٥٦.

الأخرى، إن ما قلناه آنذاك يتضمن نصف البيان لخطأ هذا التصور وبعده الكبير عن الإسلام واستعصائه على الواقع والتنفيذ) [1].

ثم يقدم الإمام الشهيد رحمه الله نصحه لهؤلاء الذين انجرفوا وراء العمل السياسي بما يحمله من آفات سبق ذكرها أن يعودوا إلى مهمتهم في إصلاح المجتمع وهداية الخلق فيقول:

(فإن سأل منهم سائل: ولكن فما البديل من مجابهة الحكام لإزاحتهم واتخاذ أماكنهم؟

قلنا في الجواب:

وهل كانت هذه المجابهة يوماً ما خطوة جهادية في سبيل الله، حتى تبحثوا لها عن بديل؟ لقد أوضحنا بما لا يدع مجالاً للريب أنها مجرد استجابة لحظ نفسي واستجابة ساذجة لكيد خفي، فالتحول عنها تصحيح لخطأ، والابتعاد عن الخطأ لا يحتاج إلى الاشتغال ببديل.

ولكن نقول لهؤلاء الإخوة: دعوا هذه المجابهة الخاطئة التي أقصتكم عن مهمتكم الجهادية فعلاً، لتعودوا إلى شرف النهوض بها، بعد أن طال بكم البعد عنها.

دعوا استثارة الحكام التي طالما شغلتكم عن شرف الدعوة إلى الله، وتبليغ أحكام الله، وإدخال حب الإسلام إلى قلوب عباد الله. وانعطفوا سراعاً عائدين إلى هذه المحاريب التي لا أجلّ ولا أرضى منها لله عز وجل، وليكن شعار هذه العودة نداءً صادراً من القلب: وعجلت إليك ربِّ لترضى.

فإن أبى هؤلاء الإخوة إلا مضيَّاً في هذا الاشتباك وانصياعاً لنداء الثأر واستجابة لحظوظ النفس، مهما بقيت ساحات الدعوة إلى الله والتعريف بدينه فارغة مهجورة، فليعلموا أنهم، عدا عن كونهم خالفوا أمر الله وهديه، لن يصلوا إلا إلى نتيجة واحدة، هي أن يجعلوا من هذه البلاد مغرباً للإسلام بعد أن كانت مشرقاً له.

---

[1] وهذه مشكلاتنا: ص ٥٣ - ٥٤.

ولكن ذلك لا يعني أن تختفي شمس الإسلام من هذه البقعة في مغرب لا شروق لها من بعده، بل ستختفي، من جراء هذه الأخطاء هنا، لتشرق هناك .. في أماكن من الغرب نائية، بفعل جهاد خفيٍّ هادئ من الدعوة المتحرقة إلى دين الله هناك، ينهض بها نساء ورجال كانوا بالأمس القريب ضائعين عن هوياتهم.. شاردين عن ربوبية مولاهم وخالقهم، غارقين في يمٍّ آسن من الشهوات والأهواء المشقية.

ها هم أولاء، وقد انتشرت أشعة دعوتهم إلى الله والتعريف بدينه، في الفجاج التي يقيمون فيها أو التي يرحلون إليها، يعيدون فيما ينهضون به من هذا الواجب الجهادي سيرة أصحاب رسول الله ﷺ مظهراً ومضموناً. إنهم لا يلتفتون إلى واقع حكم غير إسلامي يظلُّهم، ولا يعبؤون بنظام إلحادي غريب عن معتقداتهم وأمانيهم والتزاماتهم .. وإنما ينصرفون بكل ما يملكون من جهد إلى استنبات البديل الذي سيحلُّ محلَّ هذا الحكم وسيحول اتجاه هذا النظام، إن آجلاً أو عاجلاً.

إنهم ينصرفون إلى هداية العقول وتزكية النفوس، بدءاً بالأقارب والأرحام، إلى الجيران والأصدقاء، بصبر منقطع النظير وحلم لا نهاية له.

أجل، تلك هي المهمة التي ينهض بها اليوم كل فتى أو فتاة هُديت، في ربوع الغرب، إلى دين الله عز وجل. والعجيب أنهم لا يحتاجون إلى من يبصِّرهم بمنهج الدعوة، أو إلى من يحذرهم من هذا التزييف الذي يمارسه كثير من المسلمين باسمه، وهي المشكلة التي نصدر في بيانها المؤلفات، ونلقي فيها المحاضرات، ويمتد حولها الجدل المتطاول. بل تراهم اتجهوا بحكم الفطرة الإيمانية التي شدتهم إلى الله وحررتهم من أنفسهم وحظوظها، إلى المنهج السديد في الدعوة إلى الله والذي ورثه الصحابة عن رسول الله ﷺ.. إنهم لا يرهقون أفكارهم ساعة واحدة في نسج صورة الحكومة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والتخطيط لهما، وإنما يرهقون أنفسهم ويبذلون كل جهودهم في أداء المهام والواجبات التي كلفهم الله بها، وفي مقدمتها إبلاغ كلمات الله إلى العقول بعد الآذان، والتعريف بالإسلام ومبادئه وأحكامه. وهم

يعلمون -بدون الحاجة إلى أي جدل أو نقاش- أن القيام بهذه الواجبات هو ثمن ما سيكرمهم الله به من الحكم والمجتمع الإسلامي ..) [1].

وهكذا فإن الشيخ يرفض انخراط الإسلاميين في العمل السياسي بعيداً عن العمل الدعوي لأسباب نركزها في النقاط التالية:

أولاً: لأن الله أمر المؤمنين بالدعوة إليه، وبيان الحق، ولم يأمرهم بالعمل السياسي، والمنازعة لأولي الأمر.

ثانياً: لأن العمل السياسي الحزبي مبنيٌ على الأنانية الحزبية، والمنازعة على المصالح، والمكاسب مما يشق الصف الإسلامي ويضعفه.

ثالثاً: لأن العمل السياسي الحزبي باسم الإسلام سيبعد الناس في المجتمع، وأتباع الأحزاب الأخرى عن الإسلام بسبب منازعة هذا الحزب الإسلامي لهم.

رابعاً: لأن المنتفعين وأصحاب المصالح والمآرب سيتخذون من الأحزاب الإسلامية وتفاعل وتعاطف الناس معها سبباً يركبونه للوصول إلى أهدافهم.

خامساً: لأن العمل السياسي سيجبر الدعاة المنخرطين فيه على الاصطفاف مع أحد التيارات السياسية الأخرى التي لا تمثل مبادئ الدين الحنيف.

سادساً: لأن العمل السياسي سيشغل الدعاة عن واجبهم في تفقيه الناس، وتعليم أبناء الأمة.

سابعاً: لأن العمل السياسي باسم الإسلام خلال تجاربه المتعددة لم يقدم للدعوة الإسلامية شيئاً من المكتسبات الحقيقة، بل على العكس من ذلك كان سبباً لويلات كثيرة أصابت الأمة.

وأخيراً فإن مما يجب أن يعلم أن الإمام الشهيد لا يتكلم عن رفضه لتجربة العمل السياسي الإسلامي من حالة عجز عن أداء هذا الدور، بل إن دعي للدخول في هذا

---

(١) وهذه مشكلاتنا: ص٥٩-٦١.

الميدان من أوسع أبوابه، ولنستمع إلى الشهيد الإمام وهو يذكر لنا تجربته الخاصة في هذا الميدان عندما دعي إلى تشكيل حزب إسلامي، وما الذي منعه مع ذلك.

(هل تعود مشاركة الأحزاب في الأنشطة السياسية بالخير على الدعوة الإسلامية؟

دلت التجربة على أن هذه الفائدة هي فائدة في الظاهر ولكنها تستبطن نقيض ذلك.

في الثمانينات من القرن الماضي دُعيتُ من قِبَل بعض المسؤولين الكبار إلى أن أنشئ حزباً إسلامياً ليكون من أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية، فقلت:

أما ضمانات النجاح فأنا أضمن ذلك، وأنا أعلم أنني لو أعلنتُ أنني سأنشئ حزباً إسلامياً لن يقلَّ عدد الداخلين فيه عن المليون خلال شهر واحد، لكن ماذا أكون قد صنعت للإسلام؟

هل أسَأتُ أم أَحسنت؟

الجواب أنني سوف أسيء لأسباب:

أولاً: عندما يكون لي كرسي سادس أو خامس مثلاً في الجبهة الوطنية التقدمية، فمعنى ذلك أن المجتمع السوري تقاسَمَتْه هذه الأحزابُ الخمسة، ونصيبُ الإسلام منه الخُمُس أو السُّدس، ولكنَّ الإسلام ليس إصبعاً خامساً بين هذه الأصابع، الإسلام هو المعصم الذي يجمع، إذا أردت أن أجلس على كرسي أصبحت قسيماً، فأكون قد أسأتُ للإسلام.

ثانياً: عندما أنشئ هذا الحزب سأجد من حولي أناساً دخلوا فيه يحيطون بي يحذِّرونني، يمدحونني .. إلخ، سأجد بأن علاقتي بهذه الجماعة أصبحت هي البديل عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، ولسوف أجد أن علاقتي مع هؤلاء الإخوة تعلو فوق علاقاتي مع بقية الناس، فكيف ألقى الله؟! ربما يكون أناسٌ بعيدين عن هذا الحزب أفضل بكثير من كل هؤلاء الأعضاء.

ثالثاً: هنالك سياسيون حرفيون مهنيون يريدون أن يصلوا إلى أمانيهم من أقصر طريق، عندما يجدون أن هنالك حزباً إسلامياً، له مزية لا تتمتع بها بقية الأحزاب من ليبراليين،

وشيوعيين، واشتراكيين .. الخ، وهي أنه يستحوذ على العاطفة الإسلامية للمجتمع، فعندما أخاطب الناس بأنني مسلم، وأريد أن أطبق الإسلام، سأجد عشرات بل مئات الناس يفسحون لي المجال، وأريد أن أطبق الإسلام، سأجد عشرات بل مئات الناس يفسحون لي المجال، ويتبنون وصولي إلى الحكم، هؤلاء السياسيون المحترفون يسيل لعابُهم، وسرعان ما يأتي الواحد منهم فيطلق لحيةً، ويُظهر التمسك بالدين والغيرة على الإسلام، ويسجد ويضغط عند سجوده ليُحدث علامة سجودٍ على جبهته، فأنا ما أدراني بحقيقته؟

النتيجة أنني سأجد أن ظهري أصبح مطيَّةً لهؤلاء الناس، ركبوا الإسلام عن طريقي، فلما وصلوا إلى الحكم تنكّروا لي.

أنا لا أتحدث عن خيال، لا يوجد حزب إسلامي إلا وخمسون بالمئة منه أو أكثر من الحرفيين الذين دخلوا في هذا الحزب؛ لأنهم وجدوا أن الطريق معبدٌ إلى أمانيهم السياسية المختلفة التي يريدون الوصول إليها.

رابعاً: عمل الدعوة إلى الله عز وجل لا يُكمِّله النشاط السياسي، بل يلغيه وينسخه، لأنني عندما أقوم بعمل سياسي لا أستطيع أن أقنع رئيس الدولة أو المسؤول بأنني أنصحه لله، عندما يجد أنني أُناكِبُه العمل وأسابقه في الهدف، ويسيل لعابي على الكرسي الذي يجلس عليه، كيف يصدقني؟

لكن عندما يعلم أنني زاهدٌ في كرسيِّه، وإنما أطمع في عقله؛ عندئذ يمكن أن يستجيب لي) [1].

المحور الثاني – رؤيته في العلاقة مع الحاكم:

ولا يمكن أن ينفصل موقف الإمام الشهيد من العمل السياسي عن رؤيته حول التعامل مع الحاكم، ولطالما كانت مواقفه من التعامل مع الرؤساء والملوك مثار جدل كبير، حيث استغل خصومه – وأكثرهم من أصحاب منهج الإسلام السياسي – استغلوا بعض

(١) فقه الأزمة، الجزء الثاني، ص٢٤٨-٢٥٠، مستخلص من الحلقة السابعة من برنامج مع البوطي في قضايا الساعة.

كلماته التي قطعوها من سياقها ليشنعوا عليه، ويحرضوا الناس ضده، ويتهموه بالممالأة للحكام والمجاملة لهم على حساب الدين!

بل تمادى بعضهم ليتهمه صراحة بأنه من شيوخ السلطان، ولعمري إني لأعرف أي مكتسب شخصي أو دنيوي هذا الذي عاد الإمام الشهيد به من تلك العلاقة، وتلك المواقف التي وقفها أمام الملوك والرؤساء!

سوى أنه كان يقدم لهم نموذجاً من العلماء الدعاة الذين زهدوا بالكراسي والمناصب، وأقبلوا على ما يعنيهم من أمر علاقتهم بربهم، واشتغالهم بأمور دينهم، ودعوة الناس وتذكيرهم بالخير، كل ذلك من منطلق الحرص والرحمة التي هي من ميراث النبوة الذي يجب أن يكون عند العلماء.

ولن نجهد كثيراً ونحن نحاول معرفة الأسس التي انطلق منها الإمام الشهيد في تأصيل موقفه من الحاكم، والضوابط التي تضبط علاقته معه فقد كفانا هو تلك المشقة، لأنه كتب عن ذلك في مواضع متعددة.

والذي يظهر من كتاباته في ذلك أنه استقى تلك الضوابط من والده العلامة العارف بالله، ثم عمق ذلك، وأضاف له مزيداً من التأصيل.

ولنترك الإمام الشهيد رحمه الله يحدثنا هوعن منطلق ذلك، وما أوصاه به والده الملا رمضان رحمهما الله:

(كان رحمه الله – يعني والده الملا رمضان – مشبعاً في هذه المسألة – ككثير من المسائل الأخرى– بما يراه الإمام الغزالي في كتابه الإحياء. وخلاصة ذلك أن السعي إلى مواصلتهم – الحكام – ابتغاء الحصول على مغنم دنيوي أياً كان نوعه ممقوت ومذموم، وإن جاء ذلك مقنعاً بصورة الدعوة إلى الله، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما الاتصال بهم لنصحهم وتذكيرهم بالله، مع الزهد في دنياهم والترفع عن أعطياتهم، فجائز ومبرور.

وكان يستشهد في ذلك بحال كثير من العلماء الربانيين في العصر الأموي والعباسي.

وفي كل الأحوال، فإن الإمام أو الحاكم إذا استدعى أياً من الناس إلى مجلسه أو ملاقاته، وجبت الاستجابة، وعليه أن يلتزم في استجابته بآداب الإسلام ونهجه.

وكان يقرر ما انعقد عليه اتفاق جماهير العلماء، ودل عليه صريح الحديث الصحيح، من أن الخروج على الإمام محرمٌ في كل الأحوال، إلا إن تلبس بكفر بواح، أي صريح وقاطع.

وكان يؤكد أن فسق الإمام، أو سلبه لأموال الناس، وتورطه في ظلمهم والجور عليهم، لا يبرر الخروج عليه، وكان يرى أن الحاكم مهما جار أو فسق، فلن يبلغ في جوره وانحرافه إلى أبعد مما وصفه رسول الله ﷺ إذ قال:

«**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدايتي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس**» فهل تتصور أن يبلغ الانحراف والفسوق بحاكم إلى أكثر مما وصف رسول الله في هذا الحديث؟

ومع ذلك فقد أجاب رسول الله حذيفة بن اليمان عندما سأله: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ فقال:

«**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**».

ولما قامت في سورية الفتنة التي كانت نتيجة اجتهاد خاطئ لبعض الحركات الإسلامية، أنكر عليها والدي رحمه الله عملها جملة وتفصيلاً .. وأنكر على قادتها اعتمادهم على التكفير الجماعي دون التزام ضوابط الشرع وحكمه.

وكان رحمه الله يرى ضرورة نصيحة الحاكم ما أمكن، وكان يعتقد أنها من أجل القربات إلى الله. على أن تكون صافية عن شوائب الطمع في مغنم أو الفرار من مغرم، وأن تكون في غاية الحكمة واللين)[1].

إذاً هذا هو المنهج الذي خطه الملا رمضان لولده الدكتور سعيد، وقد أعلن الإمام الشهيد أنه لن يحيد عن ذلك المنهج ما حيي.

---

(١) هذا والدي، القصة الكاملة لحياة الشيخ ملا رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته، ص ١٣٩ - ١٤٠.

يقول الإمام الشهيد في تعليقه على كلمات والده: (ذلك هو منهج والدي رحمه الله في الصلة بالحاكم، وطريقة النصح له .. وتلك هي وصيته لي رحمه الله. **ولن أحيد عن هذا المنهج بتوفيق الله وعونه حتى ألقى الله عز وجل**، أوصي بالخير، وأحسن الظن، وأشكر على ما قد يتم إنجازه من الحق، مبتعداً عن المغانم والمنافع الدنيوية التي قد تلوح من خلال ذلك. ولن أفتأ أدعو له –كما أوصانا– بمزيد من الاستقامة على الرشد، ما حييت) [(١)].

وقد عاش الإمام الشهيد نشأته الأولى بعيداً عن أي اتصال بالحكام، مقبلاً على طلبه للعلم، ثم على تعليمه ودعوته، معتزلاً لكل أمرٍ ربما يؤدي به إلى أي صلة بالشأن السياسي، وبأهل السياسة، فكيف بدأت رحلته في الاتصال بالحكام؟

إليك ذلك كما يتحدث عنه في كتابه (هذا والدي) حيث يقول:

(ولما وقعت مجزرة مدرسة المدفعية بحلب، واتصل بي مسؤولون من وزارة الإعلام، يرغبون إليَّ أن أعلن عن حكم الشريعة الإسلامية في ذلك، استشرت أبي فيما طلب إلي، فأمرني بالاستجابة، ووجهني إلى الحكم الشرعي الذي يجب أن أقوله دون مواربة ولا حذر.

فاستجبت، وتحدثت حديثاً تلفزيونياً مفصلاً عن حرمة هذا العمل الذي تم الإقدام عليه. وأنه لا يدخل في أي من أنواع القتل المشروع، فلا هو داخل في قتل المرتد لأن الردة لم تتحقق ولم تقم عليها أي بينة، ولا هو داخل في القتل قصاصاً إذ لم تثبت على المقتولين أي مسؤولية جرمية، ولا هو داخل في القتل بسبب الصيال أو الحرابة، لأنهم لم يكونوا صائلين ولا محاربين.

والحقيقة أن كل الذي قلته حينئذ كان بتوجيه وإيعاز من والدي رحمه الله...)[(٢)].

أما أول كلماته أمام الرؤساء والملوك فكانت تلك التي ألقاها أمام الرئيس الراحل حافظ الأسد بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري، وذلك عندما عزمت وزارة الأوقاف على تنظيم مهرجان خطابي كبير بمناسبة ذلك وطُلب من الإمام الشهيد أن يلقي

---

(١) هذا والدي، القصة الكاملة لحياة الشيخ ملا رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته، ص ١٤٠.

(٢) هذا والدي، القصة الكاملة لحياة الشيخ ملا رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته، ص ١٤٢.

كلمة جامعة دمشق في تلك المناسبة، كانت حوادث الفتنة آنذاك على أشدها فاستعفى عن الاشتراك في هذه المهمة، ولما ألح عليه وزير الأوقاف آنذاك اشترط الإمام الشهيد لموافقته أن يأذن له والده بذلك إذاً صريحاً، وكان يتوقع أن لا يوافق والده على ذلك.

ولكن المفاجأة كانت أن الملا رمضان رضي الله عنه، وافق على المقترح من وزير الأوقاف، ولكنه اشترط أن لا يُقيد الشهيد الإمام بنوع من الكلام، وأن يمارس حريته فيما يريد أن يقول.

ولنستمع إلى الإمام الشهيد وهو يتابع حديثه عن هذا الحدث الذي رسم خطوات العلاقة بين الإمام الشهيد والحكام فيما بعد:

(جلستُ فيما بعد أسترشد برأيه — يعني والده – فيما ينبغي أن أقول، فحدثني عن الأجر الرباني الكبير على نصيحة الحاكم، إن جاءت خالصة لوجه الله صافية عن الشوائب كلها. وأوصاني أن أجعل من حديث رسول الله: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** ..» المحور الجامع لكلمتي كلها وأن أنبه إلى أن كل فئات الأمة تتقاسم المسؤولية وتتعاون في النهوض بمهامها. وإنما يكون التعاون على هذا الطريق بالاعتماد على شبكة من حسن الظن المتبادل .. ونبهني إلى أن التكفير الكيفي للناس سلاح الحاقدين والمنتقمين، وأن النصيحة القائمة على التعاون وحسن الظن هي سلاح المجاهدين.

وألقيت كلمتي في ذلك الحفل التاريخي، وشاء الله أن يكون لها صدى كبير وبعيد .. وأكثر الناس لا يعلمون أن سرَّ ذلك الصدى إنما يكمن في ذلك الأساس الخفي، المتمثل في موقف أبي وتشجيعه وتوجيهه، والتزامي جهد الاستطاعة بما قد أوصى ونصح به)[1].

ويتابع قائلاً:

(وفي أحد شهور رمضان من أواسط الثمانينات، دعيت إلى حديث تلفزيوني، وكان السيد الرئيس قد حقق بعض الإنجازات الإسلامية المفيدة، منها رفع قيود رقابية إضافية كانت تمارس على الكتب الإسلامية، ورفع قيود تتعلق بالحجاب، في الدوائر، كانت في

(١) هذا والدي، القصة الكاملة لحياة الشيخ ملا رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته، ص ١٤١.

الطريق إلى الاعتماد والتطبيق، ومنها صبغ البرامج الإعلامية المرئية والمسموعة بالمزيد من الضوابط الأخلاقية والإسلامية .. وكان أبي على علم بذلك، فأوصاني أن أنوِّه بهذه الانجازات وأن أشكر السيد الرئيس عليها، وقال لي:

ليكون ذلك تشجيعاً لفعل المزيد، ثم أيد وصيته هذه بقول رسول الله ﷺ، في الحديث الصحيح:«**لم يشكر الله، من لم يشكر الناس**».

واستجبت للندوة التلفزيونية التي دعيت إليها، وكانت كما قلت في شهر رمضان، ونفذت الوصية التي أوصاني بها الوالد، فشكرت من سميته صاحب اليد الخفية، وهو السيد الرئيس على إنجازاته تلك[1].

الخروج على الحاكم:

ومن أهم المسائل المتعلقة بالعلاقة مع الحاكم مسألة "حكم الخروج على الحاكم" التي تعدُّ من أهم المسائل التي يبرر المتطرفون الجهاديون من خلالها أعمال العنف والفوضى التي مزقت الأوطان، واستباحت الأموال والأعراض.

ويناقش الإمام الشهيد مقولة الخروج على الحاكم التي يتشبّث بها بعض الجهاديين، لتبرير أعمال العنف التي يرتكبونها في بلدانهم، متسائلاً هل هو بغي أم حرابة أم جهاد؟

فيبدأ بتعريف الحاكم بأنه: **المسلم الذي لم يتلبّس بكفر صريح، وقد استقرَّ بيده الحكم بواحدة من طرق ثلاثة؛ البيعة المباشرة له من أهل الحلّ والعقد، وفي حكمها البيعة غير المباشرة المعمول بها في كثير من البلاد.**

أو العهد إليه، وهو أن يقترحه الخليفة من قبله ليتولى الحكم بعد موته، فيقبل المستخلَف بذلك، وتعلم الأمة أو أهل الحل والعقد فيها بذلك فلا يبدو أي استنكار.

---

(١) انظر: هذا والدي، ص١٣٩–١٤٢.

أو باستيلائه على الحكم بالقوة والمغالبة شريطة أن يكون استيلاؤه بعد موت الإمام أو الحاكم الذي كان قبله، أو بعد عزله بسبب شرعي صحيح، أو أن تكون إمامته هو الآخر بالقوة والمغالبة.

ويرى الشهيد الإمام أنه لا يجوز في أحكام الشريعة الإسلامية الخروج على إمام انعقدت إمامته بإحدى الطرق السابقة[1]، مهما ظهر منه الجَوْر أو الفسق.

وليس للمسلمين وعلمائهم ودعاتهم إلا سبيلٌ واحدٌ أمام ذلك الجور والفسق، وهو التصدي لذلك بالإنكار والصدع بكلمة الحق، وأن لا يطيعوا الحاكم في معصية.

والعلة في تحريم الخروج كما يرى الإمام الشهيد نقلية وعقلية؛ أما النقلية فهي تلك النصوص الصحيحة التي جاءت في السنة والتي تنهى عن الخروج على الإمام.

وأما العلة العقلية فهي درء الفتنة، وتوفير الاستقرار للمجتمع المسلم كي يتمكن من مواصلة نموه في ظلِّ ذلك الاستقرار.

ثم يناقش الشيخ رحمه الله حجج الذين يجيزون الخروج على الحاكم، والتي تتركز عامة على أن حكامهم كافرون، فإذا كفر الحاكم وخرج عن الإسلام وجب نزع الطاعة من يده، وعزله عن سدة الحكم بالقوة إن لم يمكن بالتراضي.

وهنا يشترط الشيخ أولاً بيان موجبات الكفر وحدودها، وتعريف ذلك بشكل دقيق محدد، فيوجز البوطي الأسبابَ الكليةَ التي تستوجب الردة، بأنها الأقوال والأفعال التي تدل على إنكار ركن من أركان الإسلام، أو حكم من الأحكام الإسلامية الثابتة والمعروفة بالضرورة.

أما قرار التجريم بالكفر الجماعي للحكام، فيستند عند الجماعات الجهادية إلى "عدم الحكم بما أنزل الله" سواء في حق أنفسهم أو في حق شعوبهم، وذلك بزعمهم استناداً إلى

---

(١) ولا تلازم بين انعقاد إمامة من استولى عليها بالقوة، وبين إباحة ذلك له، بمعنى أن الاستيلاء محرم إن كان الذي قبله أهلاً للإمامة، ولم يتلبّس بكفر صريح، غير أن إمامته صحيحة ويجب على الناس طاعته، جمعاً للكلمة ودرءاً لمفسدة أكبر.

الله عز وجل: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[سورة المائدة، الآية: ٤٤]، لكن الشيخ الإمام يرى ذلك جنوحاً عن الحق الذي لا نعلم فيه خلافاً لدى المسلمين عدا الخوارج، وذلك من جهتين:

الأولى: إن التكفير الجماعي يقوم عند هؤلاء دون تبيين موجبات الكفر عند كل فرد على حدة.

الثانية: إنهم يعتبرون مجرد الحكم بخلاف شرع الله كفراً، مع أن ذلك لا يدخل في أي من المكفّرات القولية أو الفعلية أو الاستهزائية.

فعدم حكم المسلم بشريعة الإسلام يكون بدوافع مختلفةفقد يكون بدافع تكاسل، وقد يكون بدافع ركون منه إلى شهوة من شهواته أو مصلحة من مصالحه الدنيوية، وقد يكون بدافع إنكار منه لشرع الله عز وجل، ولا يستبين أحد هذه الدوافع إلا بالبينة والبرهان، فإن لم يوجد دليل على واحد منها، فالاحتمالات الثلاثة قائمة.

وإذا وقع الاحتمال، كان افتراض دافع معين منها دون غيره تحكماً، ومن ثم يسقط الاستدلال به ويبقى الأصل معمولاً به، وهو الإسلام، وذلك بموجب قاعدة: (**الأصل بقاء ما كان على ما كان**).

وعليه يقول الشهيد الإمام البوطي: لو جارينا هؤلاء الإخوة، فأطلقنا الحكم بكفر كل من حكم بغير شرع الله عز وجل؛ لسرى حكم التكفير على كثيرٍ من الآباء والأمهات، وعلى كثيرٍ من ذوي السلطة والقيادة الجزئية في مؤسسات أو مصانع أو معاهد أو أحياء؛ إذ ما أكثر من يتنكّبون من هؤلاء جميعاً عن الحكم بشرع الله، ويحملون رعاياهم إن في البيوت أو المؤسسات أو المعاهد أو الأسواق والأحياء، على اتباع أحكام أخرى غير أحكام الله عز وجل.

واستتباعاً لتكفير الحكام، فقد امتدّ الحكم نفسه، لدى تلك الجماعات، إلى تكفير من يسمّونهم أعوان الظلمة، وهم الموظفون من شرطة وجنود وعمال ومستخدمين. وهم ينطلقون إلى هذا من فتوى يُفتون بها أنفسهم، وهي أن هؤلاء الجنود والعمال والموظفين،

أعوانٌ للظلمة أي الحكام، فيجري في حقهم من الأحكام ما يجري في حق رؤسائهم الذين يستخدمونهم ويستعينون بهم. لكن إذا كان من غير الجائز الخروج على أيٍ من الحكام بأي قتال أو عدوان، وبحسب المعايير المقررة آنفاً، فلا يجوز الخروج على أعوانهم وموظفيهم بأي قتل أو إيذاء من باب أولى[1].

ولعل هذه الجزئية من مسائل الفقه السياسي هي أهم نقاط اختلافه مع الجماعات الإسلامية الجهادية.

الدعاء للحاكم:

ربما أثارت قضية الدعاء للحاكم جدلاً واسعاً لا ينبغي أن يكون لمثلها، لما لها من البساطة، والبدهية، ويقول الشيخ في هذه المسألة نقلاً عن والده:

(إنه رحمه الله كان يوصي بالدعاء للحاكم، أن يهديه الله لمحابّه -على حد تعبيره- وأن يوفقه لما فيه خير الإسلام وصلاح المسلمين، ويستشهد في ذلك بمواقف كثير من رجال السلف الصالح وأقوالهم) [2].

الخصومة مع الحكام قد تنطلق من إرادة إرضاء الناس، والقرب من الحاكم قد يكون تحت ظلال الإخلاص لله تعالى:

وفي تفريق دقيق قلَّ من تنبه له يؤكد الشهيد الإمام أن النفور من الحكام، والإغلاظ لهم في الكلام قد يكون في أحيان كثيرة نوعاً من الرياء، إرضاء للناس، وطلباً لمدحهم، وخوفاً من ذمهم.

وهو يقول في ذلك كلاماً بديعاً ذكره في مقدمة كتابه (هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك):

(في الناس اليوم من إذا ساقتهم الظروف إلى محادثة الحكام، وإبداء المشورة لهم، لم يبالوا برضاهم بل تكلفوا لسخطهم، في سبيل أن يرتفع لهم شأن بين الدهماء وعامة الناس.

---

(١) انظر: البوطي، الدعوة والجهاد والإسلام السياسي؛ هشام عليوان، وفادي الغوش: ص١٣٧-١٤٠.

(٢) هذا والدي، ص١٤٢.

وفيهم من إذا ساقتهم الظروف إلى الأمر ذاته، لم يبالوا برضا الناس ولم يهتموا بسخطهم في سبيل أن يرتفع لهم شأن عند الحكام!..

أولئك، شأنهم مداهنة الناس، ولا يبالون بالثمن الذي يدفعونه لذلك .. وهؤلاء شأنهم مداهنة الحكام، ولا يبالون هم الآخرون بالثمن الذي يدفعونه لذلك.

وتبحث عمن لا يبالي برضا الناس ولا الحكام، في سبيل رضا الله وحده، فلا تقع منهم إلا على النزر اليسير.

وفي اعتقادي أن مداهنة الناس ليست أقل سوءاً من مداهنة الحكام، ومع ذلك فهي الأكثر على صعيد الواقع.

وسبب ذلك أن مجابهة الحكام بعنف المعارضة وقسوة المواقف، كانت ولا تزال في أذهان الناس مظهراً للجهاد في سبيل الله ودليلاً على الجرأة في طريق الدعوة إلى الله، في حين أن مجابهة الناس بذلك، لم تكن في أذهانهم يوماً ما، مظهراً لأي معنى من معاني الدعوة أو الجهاد ....

ولعل القارئ يذكر أن عاصفة مشكلات أثارتها فصائل من الإخوان، مع الدولة، كانت آنذاك على أشدها .. وكان جلُّ، بل كلُّ العاملين في الحقل الإسلامي، يتقون غضبة تلك الحركات أكثر مما يتقون الدولة وعقابها.. فكانوا يلوذون بالتجاهل والصمت، مهما سئلوا عن موقف الشريعة الإسلامية من تلك التصرفات، ومهما سئلوا عن موقف الشريعة من طريقة مجابهة الدولة لها!.

فلما دخلت ميدان هذه التجربة، وألقيت كلمتي في ذلك الجو العاصف، أمام السيد الرئيس رحمه الله، مستلهماً رضا الله وحده، لم يحل عظيم رضا كثير من الناس بها، دون تهديد خفي تلقيته من بعض رؤوس الجماعة، لأني أقررت بحكم الرئيس في كلمتي تلك، ودعوت له، ووصفته فيها بقائد هذه الأمة!..

ثم شاء الله أن أخطو الخطوة الثانية على هذا الطريق فتحدثت في التلفزيون السوري من خلال ندوة رمضانية كان يديرها الأستاذ مروان شيخو ... وكان السيد الرئيس رحمه

الله، قد استجاب آنذاك لتحقيق سلسلة من الإصلاحات الدينية الهامة رجوته إنجازها في كتاب خاص رفعته إليه.. منها رفع الحظر عن طائفة كبيرة من الكتب الإسلامية، كانت قد منعت بقرار من وزارة الإعلام آنذاك ... عدت مرة أخرى إلى والدي رحمه الله، فحدثته بسلسلة تلك الإصلاحات، واستشرته في التنويه بها وشكر السيد الرئيس عليها.

فقال لي: بل صرّح بها وبشكره عليها، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**لم يشكر الله من لم يشكر الناس**» وتشجيعاً له في السير على هذا الطريق.

ولما فعلت ذلك، وشكرت من سميته صاحب اليد الخفية على إنجاز تلك الإصلاحات، رأيت في الناس من قد صنّفني، من جراء ذلك، في قائمة الممالئين والمداهنين للدولة !

ولما بلغ الأمر والدي، أقبل إليَّ قائلاً –وقد تصوَّر أنني متألم من حديث هؤلاء الناس– : بوسعك أن تسلك سبيلاً تنال به رضا الناس كلهم عنك، ولكن فلتعلم أنه لن يكون إلا سبيل النفاق!.. فالمنافق هو وحده الذي يملك أن ينال رضا الناس كلهم، في كل الأحوال)[1].

أسس التعامل مع الحاكم برأي الشهيد الإمام:

ويلخص الإمام الشهيد رحمه الله الأسس التي ينطلق منها في تعامله مع الحكام من خلال نقاط واضحة ذكر أنه لا يحيد عنها، وهي:

أولاً – لا أبدأ فأطرق أبوابهم، ابتغاء أي مغنم، أو بحثاً عن أي مصلحة دنيوية خاصة أو عامة.

ثانياً – إن دعاني رئيس الدولة إليه، لمشورة أو مهمة، استجبت، إذ لا يسعني في حكم الشريعة الإسلامية إلا ذلك. ولكني لا أصطحب معي (انتهازاً لتلك المناسبة) أي حاجة شخصية أرجوها منه أو أعرضها عليه.

---

(١) هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص٢٧-٣٢.

ثالثاً – لا أدخر وسعاً في نصحه وتذكيره بالله، وبعظم المسؤولية التي يحملها لهذه الأمة، بالأسلوب المحبب البعيد عن التصنع، والمغموس بمشاعر الغيرة والحب، كلما سنحت الفرصة لذلك. إن في لقاء شخصي مغلق، أو في كلمة ألقيها على رؤوس الأشهاد.

رابعاً – أثني عليه بكل ما عرفته فيه من صلاح وخير، سواء عرف الناس معي ذلك منه، أم لم يعرفوا .. حملاً له على المزيد، وتحذيراً له من التحول إلى النقيض، وإحقاقاً للحق.

خامساً – لا أتألّى على الله بحكم غيبي أقطع به، لا في حق حاكم، ولا في حق أي من عباد الله، مهما كان شأنه. ولكني أجنح دائماً إلى حسن الظن بالله، في حق نفسي وفي حق سائر عباده. وهو الأمر الذي يحملني على الترفع عن الخوض في حقهم ويحفزني على حسن الظن بهم[1].

وأخيراً:

نعود من حيث بدأنا لنختم الحديث عن هذا الجانب الهام من فكر وفقه الإمام الشهيد رحمه الله، من خلال التأكيد على أنه كان ينطلق من أساسيين اثنين ينظمان فكره وفقهه:

الأول: حرصه على رضى الله تعالى، وشعوره الدائم بمراقبته سبحانه له، وهو في أثناء ذلك غير مهتم برضى الناس سواء منهم في ذلك الحكام، أو العلماء والدعاة الذين يخالفونه الرأي، أو العامة الذين وقع كثير من العلماء في فخ إرضائهم فضلوا وتاهوا.

والثاني: تمسكه بالثوابت والنصوص الشرعية، وانطلاقه من خلالها أولاً، ثم من خلال رؤية عقلية تحاول أن تبحث عن المصلحة والعلة في أحكام تلك النصوص، ولذلك اتهامه خصومه بالجمود تارة، والتقليدية تارة أخرى.

ولعمري أي شرف أعظم من شرف اتباع المنهج الرباني من خلال نصوص الكتاب والسنة، وهل تاه من تاه، وضلَّ من ضلَّ إلا عندما أعرض عنها، واتبع هواه، أو أهواء الآخرين؟!

---

(١) هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص٢٧-٣٢.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية، الآية: ٢٣].

نسأل الله الهداية للرشد، والثبات على الحق، والحكمة في القول والعمل، وبعد ذلك وقبله كمال الإخلاص لله تعالى، رحم الله شهيد الحق، وفارس الكلمة والبيان، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وجمعنا به في مستقر رحمته، تحت راية سيدنا محمد ﷺ مع أشياخنا، وآبائنا وأمهاتنا إنه سميع مجيب قريب، والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث:

- البوطي، الدعوة والجهاد، والإسلام السياسي، هشام عليوان، وفادي الغوش، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، بالتعاون مع جامعة المصطفى العالمية.
- الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- فقه الأزمة، الإسلام بين المفاهيم والمصطلحات، الجزء الثاني، وزارة الأوقاف، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- وهذه مشكلاتنا، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- هذا والدي، القصة الكاملة لحياة الشيخ ملا رمضان البوطي من ولادته إلى وفاته، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.